مجتمع

زهير هواري في عمله “أحكي وفي فمي تراب الكلام”: مزيج من البناء الروائي والسيرة الذاتية وسط الحروب

منذ 2 months • 77 مشاهدة • 8 دقائق للقراءة

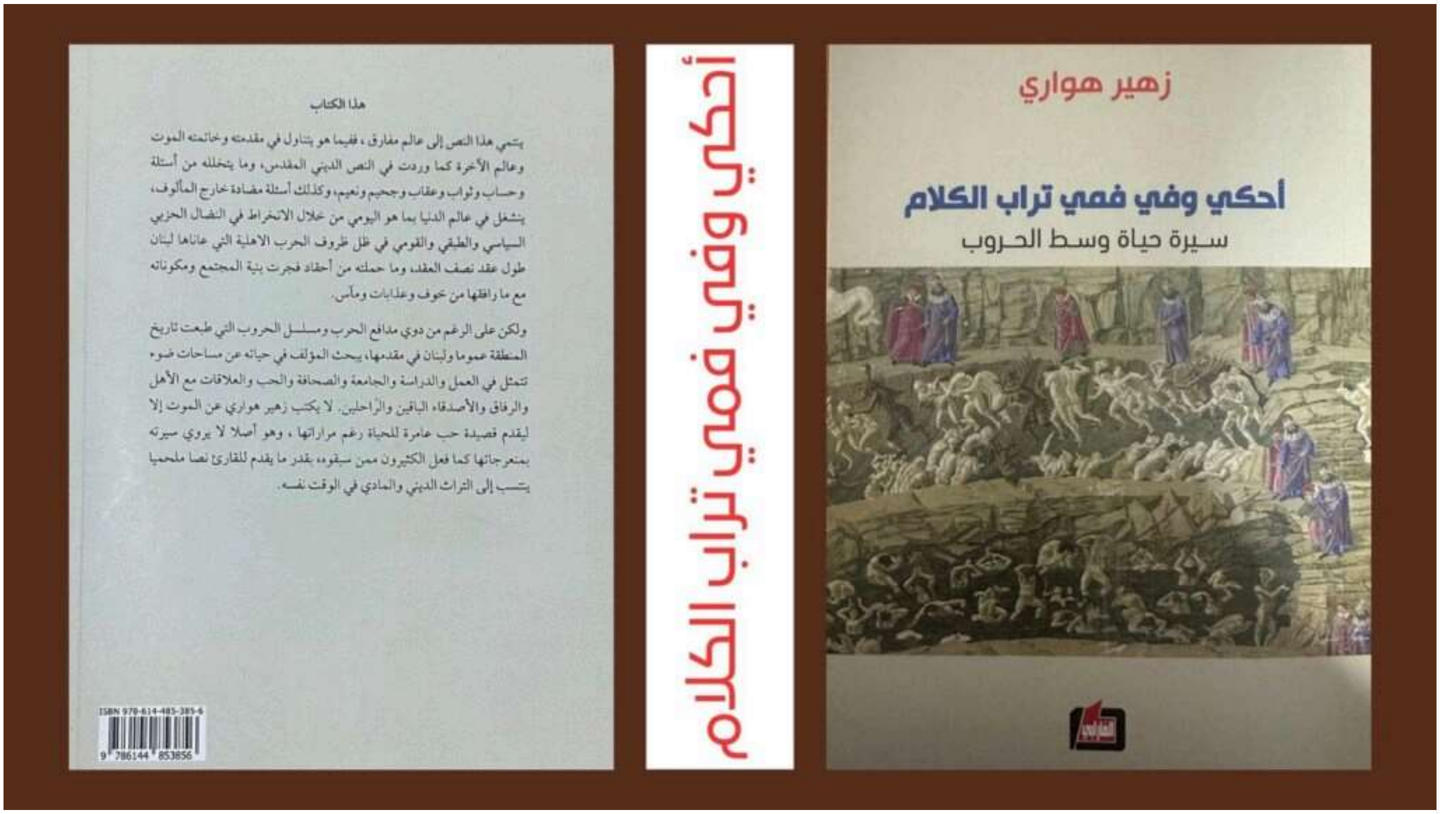

د. عدنان حمود

لا يحدد لنا زهير هواري في عمله الجديد ” أحكي وفي فمي تراب الكلام ” الصادر مؤخرا عن دار الفارابي نوعية ما يقدمه لنا كقرّاء. فهل هو يكتب لنا رواية أم سيرة ذاتية عن الأيام التي عاشها وعشناها معه كمعاصرين للأحداث التي عصفت بنا

وببلادنا، وأحالتنا وأحالتها إلى قاع صفصفا. مصدر الارتباك أن هواري سبق وقدم لنا عملين يدخلان في باب السيرة الذاتية هما: " مي " الصادر عن مؤسسة دار الكتاب الحديث في العام 1989. أما الثاني فهو كتاب "نيام حتى اليقظة" الصادر عن الدار العربية للعلوم – ناشرون في العام 2012 .

أما باقي مؤلفاته فتراوحت بين التاريخ والثقافة والانثروبولوجيا والتعليم وتحقيق مخطوطة المؤرخ الموسوعي عيسى إسكندر المعلوف (تاريخ البقاع وسورية المجوفة) مع زميله إبراهيم مهدي وغيرها. علما أن انشغالاته العامة تراوحت بين الكتابة الصحافية والتدريس الجامعي، والمساهمة مع آخرين من زملائه في العديد من المؤلفات التي تدخل في باب السياسة والفكر السياسي والراهن من الأحداث والوقائع.

تحت العنوان الرئيسي للمؤلف وضع عنوانا فرعيا هو " سيرة حياة وسط الحروب"، أي إنه يخبرنا من خلاله أن ما يحكي عنه هو سيرة وحياة وسط الحروب التي ذاقها ومعه ذاقها اللبنانيون والفلسطينيون وأبناء هذه البلاد والمنطقة. ما يعني أن حياة كل هؤلاء لم تكن سوية على النحو الذي تعيشه باقي الشعوب الأخرى في هذا الكوكب، حيث تنعم بالأمن والسلم والانسيابية التي تجعل أيامها وسنواتها عبارة عن سلسلبيل متدفق، كما تتدفق الأيام والأسابيع والأشهر والسنوات. أما لوحة الغلاف فمأخوذة من الرسوم التي وضعها ساندرو بوتيتشيلي (1445 -1510) للكوميديا الإلهية لدانتي اليبغري. وهي تعبر عن الجحيم الذي يناله أعداء الرب والكنيسة من هراطقة وفريسيين ولصوص وزنادقة.

(ما يعني أن حياة كل هؤلاء لم تكن سوية على النحو الذي تعيشه باقي الشعوب الأخرى في هذا الكوكب)

يتألف العمل من تسعة فصول يبدأ الأول منها بعنوان " الطريق إلى النار. وفيه يقدم الموت في المنظور الإسلامي، وهو ما اشتغل عليه العديد من العلماء والفقهاء المسلمين عبر مقدمة قصيرة مأخوذة من أشهر فلاسفة السُنة أبو حامد الغزالي، ومنه يتبين في حديث منقول عن الرسول محمد وعمر بن الخطاب أن الانسان لا يفقد حواسه بالموت، اذ يحافظ عليها حتى وهو تحت التراب. ينتقل من هذا النص التراثي إلى ما كرره أيضا فقهاء المسلمين عن رحلة القبر الذي يقبع فيه الانسان غب موته في مساحة ضيقة، فيتحول تبعا لأعماله إلى روضة من رياض الجنة أو قطعة من جحيم النار. لكن من

يقرر في مصيره ليس ملكا الموت اللذان يلتقياه في قبره، بل صاحب العرش نفسه دون سواه من ملائكة بما فيهم كبيرهم جبرائيل. لذلك فمحاكمته مستأخرة إلى يوم القيامة التي نراها في الفصل الأخير من العمل. أما الفصول التي تتجاوز الفصل الثاني وحتى ما قبل الأخير فمخصصة للحياة العادية التي عاشها من ضمن المرحلة التي شهدتها البلاد والقضية العربية وأجيال المرحلة، ما يجعل النص مزدوج المنحى كعمل روائي ما وراء الميتافيزيك المتجسدة كالتي نحياها، إلى اليومي مما كابدناه خلال مسيرتنا في هذا الوجود فيتلاعب بترتيب تواريخه. يخصص هواري الفصل الثالث إلى ما يعتبره الطريق إلى جهنم ومنه تنساب حروبنا الصغيرة والكبيرة. أي ما تعرضنا له ليس سوى الدرب الذي سلكناه عن رضا وطيبة خاطر نحو جهنم. وهنا نتحمل جميعا مسؤولية اضرام حرائق الحرب الأهلية. لكن لتلك الحروب مقدماتها من سائر المواقع المتصارعة. وهي هنا تمثلت في الانخراط في العمل الحزبي في حركة القوميين العرب أولا وفي منظمة العمل الشيوعي ثانيا، وفي منظمة العمل اليساري الديمقراطي العلماني راهنا وثالثا. وهو انخراط يتراوح بين تشكيل خلايا فلاحية وعمالية زراعية في الريف حيث بيت الأهل، وفي بيروت حيث تجمع التبرعات للعمل الفدائي. نراه هنا متربصا بالمصلين على أبواب المساجد طالبا مساعدتهم على توفير ما يجودون به لصالح الفدائيين الفلسطينيين. وبعد ذلك الانخراط في تأدية مهام إعلامية دفاعا عن مبدأ وضرورة تغيير النظام الطائفي المأزوم.

(هناك جانب مضيء من الحياة الاكاديمية مع كبار الأساتذة والإداريين،حيث كانت الجامعة لا تزال منزهة عن الوباء)

يتخلل هذه المرحلة المشاركة في عشرات التظاهرات التي تدعم حرب التحرير الجزائرية والثورة الفيتنامية والمطالب التعليمية وغيرها، ثم السفر إلى مصر لمتابعة الدراسة. وهنا ينقطع سياق هذه الثنائية بين الريف والمدينة لصالح عام من نصفين نصف في القاهرة لمتابعة دراسة التاريخ في جامعة الأزهر، ونصف في لبنان لتأمين بعض النقود التي تساهم في تأمين الإنفاق على الإقامة في قاهرة المعز لدين الله الفاطمي. بعد التخرج يعمل فترة قصيرة في ليبيا يعود منها خالي الوفاض ليبحث عن عمل في لبنان. ولأنه تصور أن لديه موهبة الكتابة ييمم وجهه نحو الصحافة ويدخل في مشوارها في مجلة الدستور أولا ثم في صحيفة بيروت ويغادرهما إلى الحرية ومن الأخيرة إلى بيروت المساء فالسفير فـ ... مرورا بالعديد من المساهمات في باقي الصحف اليومية اللبنانية والعربية والمجلات، التي كتب ونشر مقالات فيها. وهي هنا

لبنانية وعربية في الوقت ذاته. كل من هذه التجارب لها ايقاعها ونكهتها اذا ما تداخلت مع الحياة السياسية اللبنانية والعربية.

كان هاجسه خلال تلك السنوات الحفاظ على نزاهته بينما البيئة من حوله ملوثة الا من رحم ربك. لذلك اذا به يتخلى عن الصحافة عائدا إلى مقاعد الدراسة بعد 20 عاما من الابتعاد عن الحرم الجامعي، ويشرع في الدراسات العليا فيحصل على الماستر ثم الدكتوراه، قبل أن يتابع ممارسة مهنة الصحافة، وفي الوقت ذاته ينكب على التدريس الجامعي في جامعة بيروت العربية أولا ثم سيدة اللويزة وبعدها الجامعة اللبنانية متعاقدا ثم متفرغا. ويعرض للمناخات التي عرفها مثل الكثيرين من الأساتذة الذين كانت هذه الجامعة تعني لهم ما يتجاوز العمل الوظيفي وقبض الراتب، إلى حمل رسالة أجيال البناء والتأسيس وضرورة الحفاظ عليها وتطويرها. وكيف اخترقها المرض العضال فباتت الطائفية والمذهبية راسخة من الفروع إلى رأس الهرم، بما هي الرئاسة والعمادات والمديرين والأساتذة والطلاب والموظفين. واعتبار الفرع تابع للبنية الطائفية – المناطقية وليس للمهمة والدور الاكاديمي والمجتمعي. وحالما أنهى عقده مع الأخيرة مع بلوغه السن القانونية عمل استشاريا في لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني التابعة لرئاسة الحكومة اللبنانية. ويعرض لمساهمته في اللجنة، وما عايشه من مواقف لأطراف لبنانية وفلسطينية. وسط الحياة الحزبية والعمل الصحافي ثم الاكاديمي وفي السراي الحكومي تمر عشرات ومئات الأسماء من الرفاق والزملاء الذين عرفهم وعرفوه وتعاطى معهم بحكم العمل والمهنة والدور، دون أن ينكسر أمام ما يضمره بعضهم من مواقف، إذ من النادر وسط تبدلات الوضع أن تعثر على موقع لم يتلوث بالطائفية والزبائنية. يستثنى من ذلك العمل الحزبي رغم خطاياه الفكرية وممارساته الحربية الفادحة، التي لم تصل إلى تلوث يديه وأيدي رفاقه في التنظيم السياسي الذي انتمى إليه بدم الأبرياء. أما في لجنة الحوار فقد انطلق من حق الشعب الفلسطيني أن يشعر بالأمن ويحصل على حقوقه كلاجىء بعد الاهوال التي مر بها تتويجا بمجزرتي صبرا وشاتيلا.

(تستعاد ذروة ميثولوجيا الموت الإسلامية من خلال وقائع الحساب أو الثواب والعقاب في يوم القيامة)

وكذلك هناك جانب مضيء من الحياة الاكاديمية مع كبار الأساتذة والإداريين، حيث كانت في حينه الجامعة لا تزال منزهة عن هذا الوباء الذي ضرب نزاهة كادراتها وأصابها في الصميم. وقاد ليس فقط إلى تحطيم هذه المؤسسة، بل أيضا حقوق الأفراد

بمن فيهم المؤلف هو نفسه، عندما حالت الاعتبارات الشكلية عن حصوله أولا على حقه في استمرار الإفادة من صندوق تعاضد أساتذة الجامعة المتفرغين، ومن رتبة الأستاذية التي حُرم منها كونه في كليهما لم يتقدم بآيات الطاعة والخضوع للمرجعية الفئوية المهيمنة على هذه المؤسسة البالغة الخطورة والأهمية، بالمقارنة مع كل ما تبقى من مؤسسات وإدارات الدولة اللبنانية. لذلك لم ينل ما كان يمكن أن يكرسه له القانون من حق في الطبابة بعد نهاية التفرغ، وكذلك نيل رتبة الأستاذية في ضوء أبحاثه ومؤلفاته، وبالتالي يحصل على حق الإشراف على رسائل الدراسات العليا في الدبلوم واطروحات الدكتوراه.

يعيدنا الفصل الأخير إلى الفصلين الأول والثاني حيث تستعاد ذروة ميثولوجيا الموت الإسلامية من خلال وقائع الحساب أو الثواب والعقاب في يوم القيامة، حيث تُحشر جموع من الناس والشعوب التي تلاحقت على الكرة الأرضية، والتي لا يدري سوى ربك الأعلى عددها" فمن عمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقال ذرة شرا يره". وبالطبع تفتح أبواب النعيم للمؤمنين العاملين بتعاليم السماء من الإقرار بالشهادتين وصوم رمضان وممارسة فروض خمس صلوات يوميا، وإيتاء الزكاة عن الأموال والحج إلى بيت الله الحرام لكل من استطاع إليه سبيلا. بينما يقذف بالكفرة والجاحدين لنعم الله إلى جهنم وبئس المصير. ويدخل هواري هنا في تفصيل وتفكيك تراث المتقدمين من علماء الصحابة في أسماء ودرجات النار وأنواعها وعناصر الاتفاق والاختلاف بين كل منها عن سواه، وما يلاقيه نزلاؤها من منوعات العذاب والعقاب دون حد أدنى من إمكانيات التخفيف عما يعانون، بينما تتقشر جلودهم بالنار فتنبت لهم غيرها، وثم تحترق مجددا ثم تقشر، وهكذا دواليك إلى زمن لا يعلمه الا الله في حال قرر منحهم الرحمة والعفو عن كبائرهم وصغائرهم. لكن هواري وهو يستعد لاحتمال الرحيل إلى هذه النار المهيبة لا يمتنع عن طرح أسئلته. وهي الأسئلة التي سبق وطُرحت ولم تلق إلى الآن جوابا شافيا. ثم ماذا بعد إقامة ميزان العدالة وتوزيع الناس تبعا لإيمانهم وكفرهم على النعيم والجحيم. هل انتهى عندها كل شيء وعادت السكينة الإلهية إلى الكون، أم أن بدايات قد تحدث مع كلمة "كن" الربانية، فتعيد عملية الخلق ثانية إلى الوجود بعد مراحل الخواء التي عرفها الكون، حيث لا نأمة بسيطة لحياة متجددة. وخلالها ليس سوى مجرد سديم وضباب ومياه راكدة وصمت أبدي لا يعكر سكونه معكر من حياة مهما كان نوعها.

نص زهير هواري يعيدنا إلى الأسئلة الفلسفية التي كانت تدفع بعلماء المسلمين الذين يحبرون الصفحات بالمئات إلى اختتام مباحثهم بعبارتهم الأثيرة التي تقول "والله أعلم".

***نشر نص هذه المقالة على صفحات العدد الأول من موقع النادي الثقافي العربي الالكتروني وعنوانه www.arabculturalclub.org**

"حزب الله" إذ يشتبك مع نفسه

بابا الفاتيكان في يومه اللبناني الأول: دعوة إلى شفاء الذّاكرة وبناء مستقبلٍ مشتركٍ للبنانيّين

مقالات مرتبطة

صحف وآراء • مجتمع

خطاب الكراهية في سوريا: من يصنعه؟ وكيف نواجهه؟

مجتمع

رئيس بلدية بيروت المهندس ابراهيم زيدان ضيف المنبر...

صحف وآراء • مجتمع

"القرنة البيضا" ليحيى جابر وماريّا الدويهي مونودراما...

صحف وآراء • مجتمع

أبنية طرابلس القديمة تتهاوى فوق قاطنيها والخوف يملأ...

ثقافة • صحف وآراء • مجتمع

سيرة زهير هواري وقصة التماهى مع مسيرة الوطن

صحف وآراء • مجتمع

الهَلَع يتسرَّب إلى دودج سيتي

وسائل التواصل

الأرشيف

(3) February 2026

(70) January 2026

(46) December 2025

(45) November 2025

(35) October 2025

(45) September 2025

(37) August 2025

(31) July 2025

(35) June 2025

(44) May 2025

(12) April 2025

(19) March 2025

(40) February 2025

(26) January 2025

(33) December 2024

(46) November 2024

(42) October 2024

(28) September 2024

(38) August 2024

(31) July 2024

(29) June 2024

(33) May 2024

(36) April 2024

(37) March 2024

(29) February 2024
(41) January 2024
(35) December 2023
(32) November 2023
(33) October 2023
(25) September 2023
(27) August 2023
(37) July 2023
(30) June 2023
(32) May 2023
(33) April 2023
(29) March 2023
(28) February 2023
(31) January 2023
(38) December 2022
(34) November 2022
(26) October 2022
(29) September 2022
(28) August 2022
(30) July 2022
(41) June 2022
(21) May 2022
(27) April 2022

من نحن

(30) March 2022

(28) February 2022

(26) January 2022

(35) December 2021

(29) November 2021

(19) October 2021

(19) September 2021

(17) August 2021

(24) July 2021

(91) June 2021

(21) May 2021

(23) April 2021

(23) March 2021

(26) February 2021

(32) January 2021

(30) December 2020

(8) November 2020

(8) October 2020

(8) September 2020

(10) August 2020

(8) July 2020

(10) June 2020

(19) April 2020

(23) March 2020

(17) January 2020
(10) December 2019
(11) November 2019
(11) October 2019
(8) September 2019
(12) August 2019
(10) July 2019
(10) June 2019
(9) May 2019
(12) April 2019
(24) February 2019
(11) January 2019
(5) December 2018
(10) November 2018